نظـــريات علـــم الاجتمـــاع
دراســـة نقديـــة

إعـداد الـدكـتـور

عـبـد المحـسـن بـن ردة اللّه الـصـاعـدي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم ..... وبعد.

فإن الفتن المعاصرة ، والأفكار الهدامة والشعارات الزائفة التي تناولت حرمة العقائد الدينية ، والمبادئ والأخلاق بالتقويض والهدم والتشويه والرجم ، وبثت بالنظم ، ومناهج السلوك الإنساني الفردي والجماعي ، التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ، قد انفجرت مع تفجر منجزات الحضارة المادية المعاصرة التي بدأتن منذ القرن السابع عشر الميلادي ، وكانت الدراسات الفلسفية والنفسية والاجتماعية هي المجالات الخصبة التي أسست فيها هذه الآراء والأفكار والمذاهب مع بعض المجالات الأخري ، ولقد جرت هذه المحدثات الفكرية بلاءً كبيراً ، وشراً مستطيراً ، وأمست منذرة بانهيارٍ ساحقٍ ، ودمار ماحقٍ.

وقد كان رواد هذه المحدثات الفكرية من الكافرين والفاسقين والمجرمين ، الذين يريدون كمس معالم الدين والفطر السوية ، عن طريق ما يبثونه من أفكار ، وما ينشرونه من نظريات ، غاية ما تهدف إليه زعزعة الثوابت وتغيير المواقف ، فكان من بين هذه الأفكار الوافدة نظريات علم الاجتماع التي أصبحت عند فئام من الناس حقائق مسلم بها.

وفي هذا البحث سوف أعرض لهذه النظريات مع بيان ما فيها وقد قسمت البحث إلي قسمين:

الأول: مقدمات مهمة حول علم الاجتماع تشمل علي ما يلي:

١- تعريف علم الاجتماع.

٢- أسباب نشأة علم الاجتماع.

٣- موضوعات علم الاجتماع.

٤- مصادر علم الاجتماع.

٥- بعض المحاولات الرئيسية لفهم المجتمع.

الثاني: نظريات علم الاجتماع عرض ونقد.

والله أسأل التوفيق والسداد.

تعريف علم الاجتماع

علم الاجتماع من العلوم التي اختلف العلماء من أهل هذا العلم في تحديد مفهومه وحده بحد معين يمكن أن يتوافق عليه جميع أهل هذا العلم **ومن بين هذه التعريفات ما يلي:**

انه: علم دراسة الإنسان والمجتمع دراسة علمية تعتمد علي المنهج العلمي وما يقتضيه هذا المنهج من أسس وقواعد وأساليب في البحث[١].

وقيل: هو مجموعة من التعميمات المترابطة ، تدور حول السلوك الاجتماعي الإنساني الذي نصل إليه عن طريق استخدام المناهج العلمية[٢].

وقيل : هو الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية بما تشتمل عليه من علاقات ونظم وتنظيمات اجتماعية وبما تحويه من عمليات اجتماعية تسهم في إحداث التغير والتطور الاجتماعي[٣].

---

(١) اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، للدكتور : عبد الباسط عبد المعطي ، ص (١٨)

(٢) علم الاجتماع ، لمحمد عاطف غيث ، ص (١١٣).

(٣) عبد الباسط عبد المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ ، ص ١٨.

وما سبق يتبين أن الاختلاف في تعريف علم الاجتماع يمكن حصره فيما يلي:

١- خلاف في طبيعة العلم وخصائصه بالتطبيق علي المجتمع أي أن الخلاف ينحصر في نوع الحقائق التي تصلح للمعالجة.

٢- الخلاف في الأسس التي يقوم عليها المجتمع هل هي العلاقة أو الجماعة أو الفعل.

وعلم الاجتماع يهتم بالدراسة العلمية الشاملة للحياة الاجتماعية بكل ما تحويه من معايير وقيم وعلاقات ونظم يسعي من وراء ذلك إلي الكشف عن القواعد والقوانين التي تحكم وتضبط السلوك الإنساني ، كما يدرس المجتمعات في حال تغيرها من أجل فهم التحول والتطور الذي يطرأ عليها.

أسباب نشأة علم الاجتماع

لقد نشأ علم الاجتماع في أحضان أوروبا علي يد (أوجست كونت) في أحضان الكنيسة نتيجة لتغيرات ثورية درامية عنيفة في البيئة الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية للمجتمع الأوروبي في ظل ثلاث ثورات كبري ، ثورة اقتصادية قضت علي نظام اقتصادي قديم ، وثورة فكرية ، وثورة سياسية تهدف هذه الثورات لإسقاط سلطة الدين.

ومن هنا نلاحظ أن علم الاجتماع نشأ بين تيارين كانا يسودان أوروبا هما : التيار العقلاني والتيار التجريبي ، وهما : تياران يخلعان ثقتهما علي العقل والملاحظة كوسيلتين لحل مشاكل الإنسان والمجتمع ويريان أن المجتمع يخضع لسنن طبيعية وليس لسنن إلهية وأنه يمكن حل مشكلات المجتمع بالكشف عن هذه القوانين لا بالرجوع إلي الله.

وخلاصة القول : أمنه من خلال ما سبق يتبين أن علم الاجتماع نشأ للأسباب التالية:

١- أنه رد فعل علي ما كانت تمارسه الكنيسة تجاه المجتمع من ضغوط وتحجيم للعقل البشري.

٢- أنه نتاج تيارات فكرية وأخلاقية كانت سائدة في الغرب إبان سيطرة الكنيسة.

٣- أنه نتاج الأزمات السياسية والاقتصادية التي كانت سائدة في المجتمعات الغربية وقد قامت النظريات لتخطي هذه الأزمات[١].

موضوعات علم الاجتماع

يدرس علم الاجتماع الظاهرة الاجتماعية او أحوال المجتمع الإنساني المتعلق بسلوك الجماعة أي أنه يدرس أنماط السلوك والنظم والعلاقات الاجتماعية وطرق التفكير التي تنتشر بين قطاع عريض من المجتمع ، ولها صفة الإلزام والاستمرار.

١- الجماعات الاجتماعية: وهي التي ينتمي إليها الأفراد بطرق وصور مختلفة ، والجماعة قد تكون صغيرة مثل الأسرة ، وقد تكون كبيرة مثل : المدينة أو المجتمع العام.

٢- العمليات الاجتماعية: وهي الصور الأساسية للسلوك الاجتماعي مثل : الصراع والتنافس.

٣- التغير الاجتماعي : تدور الدراسة في هذا المجال حول التبديلات والتحولات التي تطرأ علي المجتمع ونظمه.

٤- النظم الاجتماعية : تدور الدراسة في هذا المجال حول أنماط النظم الاجتماعية والوظائف التي تؤديها وعلاقتها ببعض مثل النظام الأسري والاقتصادي وغيرهما[١].

---

(١) انظر: اعترافات علماء الاجتماع ، ص (٤٣-٤٥).

هذه من أبرز القضايا التي يدرسها علم الاجتماع ويحاول إيجاد النظم التي تسير وفقها الحياة البشرية والتغيرات التي تحدث في المجتمع الإنساني.

مصادر علم الاجتماع

علم الاجتماع علم استعماري نشأ في أحضان الغرب يرتبط ارتباطاً مباشراً بهم فمصادره هي المنهل اليوناني الروماني والمنهل اليهودي المسيحي والبيئة الأوروبية ذاتها ، هي مصادره التي يستقي منها معلوماته ونظرياته.

وعلماء الاجتماع الغربيون كانوا يرون أن الغرب كان يعبر نفسه يوماً بالدين ، أما اليوم فإن الدين عندهم معتقدات عتيقة ، ولهذا استعان الغرب بالعلوم الاجتماعية كبديل عن هذه المعتقدات العتيقة وتحول الدين عندهم إلي موضوع للبحث الاجتماعي والتاريخي إلي تراث يمكن إخضاعه للدراسة.

والبناء الحالي لعلم الاجتماع يرجع بصورة أو بأخري إلي الأفكار التي صاغها رواد مبكرون مثل : باريتو الإيطالي الكاثوليكي ودور كايم الفرنسي اليهودي وماكس فيبر الألماني البروتستاني.

---

(١) علم الاجتماع ، لمحمد عاطف غيث ، ص (١٣٨) ، وعلم الاجتماع (د.علي وافي) ، ص (١٥-١٧).

وقد تحدث هؤلاء العلماء الثلاثة حول العلاقة بين العلم والدين، يقول دور كايم (أن العلم يستطيع أن يفهم وأن يفسر قيام معتقدات دينية جديدة) ، ويقول باريتو: (لا تحفل بالدين، لأن الرواسب لا تتغير ، وسوف تنشأ معتقدات جديدة دائماً) ، ويقول فيبر : (إن الطبيعة كما يفسرها العلم وكما تعالجها التكنولوجيا ليس فيها متسع لسحر الدين وأساطيره القديمة ، يجب أن ينسحب الإيمان ، ليعيش في عزلة مع الضمير).

وقد قام رجال الاجتماع في بلاد المسلمين بنفس ما قام به علماء الغرب فطبقوا الفكر العلمي علي قضايا الإنسان والمجتمع والدين ، وقالوا : إن الدين يجب أن يبدأ بتجربة حسية وإن الناس هم الذين يضفون علي الظواهر الطبيعية قداسة من عندهم ، واعتبروا الله فكرة وحالة نفسية ، وأطلقوا نفس المصطلحات الغربية علي كل ما يتعلق بالدين[1].

بعض المحاولات الرئيسية لفهم المجتمع:

أولا: سان سيمون : مفكر فرنسي ، ولد في باريس في ١٧ أكتوبر ١٧٦٠م ، كان منذ طفولته ميالاً إلي التحرر من الدين ومن سلطة الأسرة ، ألحقه والده بدير (سان لازار) فترة من الوقت ، لكنه كان يفضل السجن عن الالتزام بتعاليم الدين.

---

(١) انظر اعترافات علماء الاجتماع ، ص (١٦-٢٠)

عاش (سان سيمون) في الحي المعروف (بروويال بالاس بباريس) وهو الحي الذي كان يجمع في ذلك الوقت وزارة المالية والبورصة وبيوت اللعب والدعارة كل في آن واحد.

عاشرا: (سان سيمون) امرأة اسمها (جولي جولياني) عشر سنوات ، ثم بعث بها إلي أحد أصدقائه ، بعد أن وجدها عبئاً عليه ، حاول الانتحار فأطلق الرصاص علي نفسه ، لم يمت لكنه فقد عينه اليمني ، كانت تصرفاته مثيرة للشك ، وباعثة الريبة ، كان لا يتخذ مذهباً واحداً في تفكيره ، بل يعلن للناس مذهباً ويبطن آخر يسره إلي أصدقائه وخاصته ، صادر البوليس كتاباته ومخطوطاته واتهمه بالتضليل وهدم المبادئ الدينية ، وهو عين تسعي إلي الماسونية[1] .

ثانيا: (أوجست كونت) : فيلسوف فرنسي ، ولد في موبلييه الفرنسية في يناير عام ١٧٩٨م لوالدين كاثوليكيين ، حصل علي مكان في مدرسة الفنون التطبيقية في باريس عام ١٨١٣م وفي عام ١٨١٦م تزعم كونت حركة عصيان قام بها الطلاب ، وكان من نتيجتها أن طرد وبقية زملائه في نفس السنة الدراسية ، ولما بلغ سن الرابعة عشر من عمره نبذ الإيمان بمبادئ الدين ، وفي سنة ١٨١٩ تعرف علي سان سيمون فأصبح سكرتيراً له لكنه افترق عنه نظراً لاختلافه معه في الاتجاه ، تعرض لأزمة عقلية أثناء إلقاء

([1])انظر اعترافات علماء الاجتماع ، ص (٦٥-٦٦)

محاضراته ، اخترع كونت ديناً جديداً اسماه دين الإنسانية وهو دين تثليثي كالنصرانية أقانيمه الموجود الأعظم وهو الإنسان والوثن الأعظم وهو الأرض والمحيط الأعظم وهو الفضاء الخارجي المحيط الأعظم. وقد وافته المنية عام ١٨٥٧م.

ثالثا: (ماكس فيبر) : ولد في إبريل ١٨٦٤ بألمانيا من أسره بروتستانتية ، كان والده محامياً عمل بالسياسة وانتخب عضواً بالبرلمان ، وقد أعد ماكس ليكون عضواً بالكنيسة البروتستانتية ، بدأ في دراسة الاقتصاد منذ ١٨٨٢م ، فالتقي بأفكار آدم سميث وماركس كما التقي بالفلسفة الكائنية والوجودية وانتظم في محاضرات القانون الروماني ، بعد حصوله علي الدكتوراه قام بتدريس القانون في جامعة برلين عام ١٨٩٢م.

ولقد أسهم في إنشاء علم الاجتماع ، كان له الدور في نظرية الفعل الاجتماعي والتحليل البنائي الوظيفي التي أخذت طريقها كمدرسة واضحة المعالم[١].

رابعا: (اميل دور كايم) : يهودي فرنسي عاش ما بين (١٨٥٨م – ١٩١٧م) تخصص في علم الاجتماع ، وصار رائداً

---

(١) انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة ، ص (٢٦٦) ، وكواشف زيوف ، ص (٤٠٥-٤٠٨) ، واعترافات علماء الاجتماع ، ص (٤٨-٦٩).

له، كان أستاذاً بالسوربون ، تأثر اتجاهه في علم الاجتماع، وصار رائداً له ، كان أستاذاً بالسوربون ، تأثر اتجاهه في علم الاجتماع بفلسفة كونت الوضعية ، وكان له اولاً تابعاً ثم صار له ناقداً ، عزا إلي العقل المشترك للمجتمع العقل الجمعي أصل الدين والأخلاق وبعض التصورات الأساسية كالزمان والمكان ، ساهم في إصدار قانون فرنسي يخطر إمداد الأطفال في التعليم الأولي بتعليم ديني ، أجري دراسة عن الدين في عشيرة استرالية بدائية ، خرج من هذه الدراسة بنتائج صالحة للتطبيق علي مختلف المجتمعات وفي مختلف الأزمنة ، كانت هذه العشيرة تعبد التوتم الطوطم أو اللقب الأسري[1].

خامسا : (فلفريدو باريتو) : حاول أن يقيم منهجاً للبحث في علم الاجتماع علي أسس رياضية كما هو الشأن في العلم الحديث ، وإلي عكوفه علي الحقائق التاريخية الواسعة المتشعبة ، وإلي استخراجه للأصول والقواعد ، التي يمكن أن تفسر علي أساسها هذه الحقائق ، وقد حاول أن يربط علم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخري، ولعل تفهمه

---

(1) انظر كواشف زسوف ، ص(٢٣٥ – ٣٤٠) ، واعترافات علماء الاجتماع ، ص(٤٩) ، واتجاهات نظرية ، ص(١١٢).

لهذه الصلات علي جانب تحليله الدقيق للسلوك الإنساني هو ما رفعه علي مصاف علماء الاجتماع [١] .

مراحل تطور علم الاجتماع

لقد مر علم الاجتماع بمراحل كبري للتطور العالمي الذي طرأ علي علم الاجتماع ، وهي كالتالي:

* **المرحلة الأولي**: بدأت منذ حوالي الربع الأول من القرن التاسع عشر في فرنسا ، أهم من أسهموا فيها : سان سيمون وكونت.

* **المرحلة الثانية** : هي الماركسية التي تبلورت في حوالي منتصف القرن التاسع عشر وعبرت عن جهد معين للارتقاء بتراث المثالية الألمانية وإدماجه بنماذج أخري من التراث الاشتراكية الفرنسية وعلم الاقتصاد.

* **المرحلة الثالثة**: تمثل علم الاجتماع الكلاسيكي الذي تطور قبل الحرب العالمية الأولي ، وهي مرحلة توفيق وإدماج بين الوضعية والماركسية.

* **المرحلة الرابعة**: هي مرحلة الاتجاه الوظيفي البنائي الذي يتبلور في الثلاثينات في الولايات المتحدة عن طريق وجماعة من الدارسين الشبان ، أمثال بارسونز وكنجزلي دافيز وغيرهما[٢] .

ومن خال ما سبق يتبين لنا ما يلي:

---

(١) انظر: علم الاجتماع ، ص (٣٣).

(٢) اعترافات علماء الاجتماع ، ص (٢٠).

أولا: أن رواد هذا الفكر ، علماء غربيون جاءوا بنظريات وضعية.

ثانيا: إن القاعدة التي تقوم عليها نظريات علماء الغرب هي فصل الدين عن العلم.

ثالثا: محاولة علماء الاجتماع سد الفجوة القائمة في الغرب بين الدين والعلم.

رابعا: لقد طبق علماء الاجتماع في الغرب هذه الأفكار علي جماعات مسيحية متدنية فانهارت.

ومن هذه المنطلقات ينكشف للقارئ الأساس الفكري في العلاقة بين الدين وعلم الاجتماع في الغرب.

معني النظرية في علم الاجتماع:

اختلف علماء الاجتماع – كعادتهم – في تعريف النظرية ، وعلي الرغم من وجود محاولات، وكتابات عديدة لتحديد مفهوم النظرية ، حتي إن بعضها يصل إلي حد التناقض في التعريف ، وتحديد المفهوم ، إلا أن بعض علماء الاجتماع وجدوا بعض نقاط الالتقاء بين هذه التعريفات ، فعرفوا النظرية بأنها: (نسَقٌ فكريٌّ استنباطيٌّ منسقٌ ، حول ظاهرة ، أو مجموعة من الظاهرات المتجانسة)[١].

---

(١) اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، د. عبد الباسط عبد المعطي ص(١٣) علم الاجتماع ــ د.محمد عاطف ص (٤).

فعالم الاجتماع يحاول أن يستنبط بعقله – بعد النظر ، والتأمل في حدث فردي أو اجتماعي متكرر ، ما يشكل حكماً عاماً علي هذا الحدث ، أو الأحداث التي يرصدها وهو ما يسمي (النظرية الاجتماعية).

* أهمية النظرية في علم الاجتماع:

تعتبر النظرية في علم الاجتماع هي : القاعدة ، أو ركن الزاوية الذي من خلاله يثمر البحث الاجتماعي وعند غيابها ، فإن البحث في مسائل علم الاجتماع لا يعدو كونه عبثاً ، ومضيعة للوقت ، والجهد.

يقول الدكتور (عبد الباسط عبد المعطي) : (تحتل النظرية العلمية مكانة متميزة في البحث العلمي بصفة عامة ..... أما نظرية أي (علم) ، كعلم النفس ، أو علم الاجتماع – مثلاً – فهي : التي تحدد موضوعه ، وتنظم عملياته ، وأدواره ، بل ومساراته)[١].

ويقول الدكتور (محمد عاطف) : أجمع كل الباحثين في هذا الميدان – أي : ميدان علم الاجتماع – علي أن البحث مسند الانطلاق من نظرية ، أو دون اتجاه إلي نظرية ، ليس إلا نوعاً من العبث) [٢] .

---

(١) اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، د، عبد الباسط عبد المعطي ، ص(١٢).

(٢) علم الاجتماع ، د. محمد عاطف ص (٥).

*** الشروط التي يجب توافرها في النظرية الاجتماعية :**

لقد حرص علماء الاجتماع علي وضع شروط ، وضوابط للنظرية الاجتماعية ، يمكن من خلالها تمييز النظرية العلمية عن غيرها من النظريات التي تفتقر إلي وصف النظرية العلمية ، لغياب شروط النظرية العلمية عنها.

ومن هذه الشروط:

١- ضرورة أن تكون مكونات النظرية واضحة ، ودقيقة ، محددة الألفاظ ، والمعاني ، والمضامين.

٢- أن يعبر عما تشتمل عليه النظرية بإيجاز ، تعبيراً يوضح هذه المشتملات ، يبين غرض النظرية – عموماً – ، وأهداف كل مكون من مكوناتها – تخصيصاً.

٣- ان تكون النظرية شاملة – بقدر الإمكان – للجوانب التي أقصد تنطوي عليها النظرية ، بما في ذلك : وصف ، وتحليل ، وتفسير ، الحقائق المعنية.

٤- أن تكون النظرية مسردة في موضوعها ، ومشروعها التفسيري ، وذلك أن وجود نظرية أخري تدرس الموضوع نفسها ، وتفسره بالعوامل والطرق ذاتها ، يضعف النظرية ، ويجعلها تكراران لا مبرر له ، يتنافي مع قاعدة الاقتصاد العلمي.

٥- أن يكون للنظرية أرضية واقعية ، بمعني : أن تعتمد في صوغها علي ملاحظات ، ودراسات واقعية من ناحية ،

وأن تكون قابلة للاختبار العلمي ، الذي يثريها ، ويكسبها مشروعيتها العلمية من ناحية أخري ، فالنظرية التي تأتي بقضايا تستعصي علي الاختبار لا تعد نظرية علمية.

٦- يعد شرط وجود قدرة تنبؤية في النظرية شرطاً أساساً فيها. ، فالنظريات التي تقف عند مجرد الوصف تفيد ، لكنها تعد ناقصة ، والنظرية التي تقف عند مجرد التفسير تفيد، لكنها تعد ناقصة أيضاً ، لأن قدرتها علي التنبؤ تزيد من قوتها من جانب ، وتجعلها قادرة علي مساعدة العلم ، كي يقوم بدوره المجتمعي الإنساني من جانب آخر[١] .

*** وظائف النظرية الاجتماعية:**

يمكن لنا أن نحدد وظائف النظرية الاجتماعية بوظيفتين هامتين:

الأولي: تمكين الباحث من فهم المجتمع في صورته الكلية ، وهذه الوظيفة يمكن أن تندرج تحتها وظائف فرعية كثيرة ، تبدأ بفهم الواقع وتفسيره ، وتتناول مشكلاته ، والتخطيط لتناولها وعلاجها ، سواء أكانت هذه المشكلات فئوية ، أم قطاعية ، أم مجتمعية شاملة ، تشمل المجتمع علي وجه العموم.

الثانية: إعطاءه إطاراً للبحث في مناطق محددة منسقة ، مع الصورة الكلية التي استمدها من النظرية ، ولهذا فإن

---

(١) اتجاهات في نظرية علم الاجتماع ص(١٣-١٤) ، علم الاجتماع ، ص (٧).

الأبحاث التي تجري تكون ذات صلة نسبية مفهومة بالكل[١] .

ومع بيان ووظائف النظرية الاجتماعية ، إلا أنها كثيرا ما تعجز عن القيام بوظائفها المذكورة آنفاً ، بقول الدكتور (محمد عاطف) : (وعلي الرغم من أن عالم الاجتماع يعلمن تماماً تسلسل الأحداث في المجتمع ، وعواملها الفعلية ، فإنه يعلم أيضاً أن نظريته قد لا تعطيه الإجابة المحددة لما ينبغي عمله لمواجهة موقف معين[٢]).

* أهم الاتجاهات النظرية المعاصرة في علم الاجتماع:

يجب أن تعلم أن النظرية تفي علم الاجتماع كثيرة ، وكثيرة جداً ، وهي كل يوم في تنامٍ متزايد ، لكن كثيراً من هذه النظريات ترجع – في الحقيقة – إلي عدد من الاتجاهات النظرية، التي كتب لها الرواج بين علماء الاجتماع.

ومن أشهر هذه الاتجاهات :

---

(١) علم الاجتماع ص(١٠) اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ص(٢١-٢٢).

(٢) علم الاجتماع ص (١٠).

الاتجاه الأول : النظرية البنائية الوظيفية:

١- تعريف النظرية:

ترجع تسمية النظرية إلي استخدامها لمفهومي البناء ، والوظيفة في فهم المجتمع ، وتحليله ، ولذلك يجدر بنا الوقوف علي هذين المفهومين الأساسين ، اللذين يعدان العمود الفقري للنظرية:

أ- البنائية:

يقصد بالبناء الاجتماعي: مجموعة من العلاقات الاجتماعية المتباينة ، التي تتكامل وتتسق من خلال الأدوار الاجتماعية ، فثمة مجموعة أجزاء مرتبة ، مشتقة في تشكيل الكل الاجتماعي ، وتتحد بالأشخاص ، والزمر والجماعات ، وما ينتج عنها من علاقات ، وفقاً لأدوارها الاجتماعية التي يرسمها لها الكل ، وهو : البناء الاجتماعي.

ب- الوظيفية:

يقصد بالوظيفية الاجتماعية : ذلك الدور الذي يسهم به الجزء في الكل هذا هو القدر المتفق عليه تقريباً – بين أنصار الاتجاه.

وقد وضع علماء الاجتماع – من خلال بيانهم لمعني مفهوم البناء والوظيفة – تعريفاً للنظرية ، قد يقرب فهمها ، وتصورها ، وهو : أن الوظيفة (تشير إلي دراسة ، تحليل القدر الذي يسهم به

الجزء في الكل لمجتمع ، أو الثقافة) ، مع التأكد على تكامل الأجزاء في الكليات ، وتساندها الضروري فيما بينها)[1].

٢- **أهمية النظرية**: تحتل النظرية مكاناً مرموقاً في النظرية السوسيولوجية المعاصرة ، و لا نكاد نجد باحثاً في علم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا ، إلا وظهرت في أماله ، وتفسيراته ، ومنهجه: خصائص هذا الاتجاه ، حتى إن بعض علماء الاجتماع يقولون : إن دراسة مسائل علم الاجتماع تتجه اتجاهاً بنائياً وظيفياً بالضرورة ، والاتجاه الوظيفي لا يمثل مدرسة محددة تحديداً واضحاً في العلوم الاجتماعية ، بل إنه يتشعب شعباً كثيرة ، تجمعها خصائص عامة.

٣- **الجذور التاريخية للنظرية**:

أول من استعمل كلمة (الوظيفة) كان الفيلسوف (ليبنتز) ، واستخدمت في الرياضة ، لتشير إلي المتغير في علاقته بمتغير أو متغيرات أخري ، ثم جاء (وليم روبنسون) لتلقف هذه الفكرة ، ولتبدأ أول إشارات بزوغ الاتجاه البنائي الوظيفي ، ويتضح هذا من كتاب (سميث) حول : الزواج والمقاربة (سنة ١٨٨٥م) وأيضاً : في محاضراته حول الدين في المجتمع.

وإذا كانت الفكرة السابقة لم تكن واضحة تماماً في آراء (سميث) ، فقد زادها وضوحاً (هربرت سبنسر) (١٨٢٠ –

---

(١) الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع ص(١٥١-١٥٢) علم الاجتماع ص (٧٦).

١٩٠٣م) عالم الاجتماع البريطاني ، كما كان لها وجود في فكر (أوجست كونت) ، و(إميل دور كايم) ، لأن كلاً منهم حاول أن يتصور المجتمع ، من حيث بنائه المكون من أجزاء ، ومن حيث الوظائف التي يؤديها هذا البناء بأجزائه ، على أن أول صياغة متسقة حول منطق الاتجاه البنائي الوظيفي في علم الاجتماع ، هي : تلك التي قدمها (إيميل دور كايم) من خلال كتابه (قواعد المنهج وتقسيم العمل الاجتماعي) ، مع العلم: أن هذه النظرية – منذ نشأتها – حاولت متابعة ، تقليد علم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) ، الذي أشار بوضوح إلي أن بناء أي كائن عضوي: عبارة عن ترتيب ، أو تنظيم ثابت نسبياً ، من العلاقات القائمة بين الخلايا المختلفة لهذا الكائن ، وأشار أيضاً إلي مصابات ، أو نتائج الأعضاء المختلفة للكائن العضوي في حياة هذا الكائن ، واعتبار هذه المصاحبات ، أو تلك النتائج بمثابة وظيفة لكل عضو من الأعضاء.

وقد ساعد في زيادة الاتباط بين الوظيفة وعلم الأنثروبولوجيا خلال عشرينات وثلاثينات القرن الماضي : اثنان من علماء الأنثروبولوجيا البريطانيين ، هما : (راد كليف براون) و (برنسلاف مالينوفسكي) فـ "براون" سار علي خطي "دور كايم" بالنزعة الدوركايمية ، التي تتجاهل الفرد تماماً ، ويتخلص من العنصر البيولوجي ، أو يبعده تماماً عن التحليل الوظيفي للجوانب الثقافية ، والاقتصادية ، والتعليمية ، والتشريعية.

كما كان للمفكر الإيطالي "باريتو" (١٨٤٨ – ١٩٢٣م) و "بارونز" و "روبرت ميرتون" وغيرهم ، دور في تطور هذه النظرية.

والخلاصة ، إن الاتجاه البنائي الوظيفي – منذ التلميح إليه علي يد وليم روبنسون ووضع حجر أساسه علي يد "دور كايم" ، وترميم وتحسين علي يد "بارونز" ، و "ميرتون" ، وآخرين – ظل مرتبطاً بالعلم الطبيعي ، وبخاصة علوم الحياة ، والكيمياء ، والميكانيكا ، كما إن مفهوماته كانت تلقح بعضها بعضاً ، وتخصبها فبدأت محددة بالبناء ، والوظيفة ، لتكثر وتتعدد مشتقات كل منها ، وقد انصب التركيز علي الجوانب الثابتة من النسق ، أكثر من الأبعاد الدينامية المتغيرة ، وكانت الأبعاد الثقافية للنسق اكثر استخداماً في التفسير من غيرها من مكونات النسق الأخري[١].

٤- نقد النظرية البنائية الوظيفية:

أول من نقد هذه النظرية هم علماء الاجتماع أنفسهم ، فقد بينوا في نقدهم لهذه النظرية : أنه تنشأ عدة صعوبات عند محاولة تطبيق هذه النظرية الوظيفية علي المجتمع.

---

(١) علم الاجتماع ص (٧٦) اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ص (١٥٤ – ١٥٩).

وذلك لعدة أمور . منها:

أ- انه من السهل أن ننظر إلي الكائن العضوي علي أنه وحده بنائية ، بينما نستطيع ذلك بالنسبة للمجتمع ، لأن البناء في هذه الحالة مرتبط ارتباطاً ضرورياً بالوظيفة ، ولهذا ، لا يمكن أن تنشئ فسيولوجيا – أي : وظائف – اجتماعية مستقلة عن المورفولوجيا – أي: البناء – الاجتماعية.

ب- أن بناء الكائن العضوي لا يتغير شئ منه خلال حياته ، ولكن المجتمع قد يغير من نمطه البنائي ، دون مساس باستمراره ، أو دوامه.

وقد كانت الأفكار الخاصة بالتغير هي التي واجهت الاتجاه الوظيفي عامة – سواء أكان ذلك في الأنثروبولوجيا ، أم علم الاجتماع – بأهم الثغرات التي كانت – ولا تزال محل نقد [١] .

الاتجاه الثاني : النظرية الوضعية

١- تعريفها:

يعرف علماء الاجتماع النظرية الوضعية ، بأنها : اتجاه فكري ، يبني تفسير العالم علي معطيات التجربة وحدها)[٢] .

فالنظرية الوضعية تطلق في تكوينها من العلوم الطبيعية ، التي أثبتت في عالم اليوم أنها أنجح طريقة لمعالجة مادة التجربة ، فهي تحاول أن تبحث نظرة موحدة لعالم الظواهر – الطبيعية ،

---

(١) علم الاجتماع ص(٨٤).

(٢) علم الاجتماع ص (٦٣).

والإنسانية – ، من خلال تطبيق المناهج والنتائج التى تصل إليها العلوم الطبيعية علي الفرد ، والمجتمع.

٣- **الجذور التاريخية:**

تضرب الوضعية بجذورها إلي قرون خلت ، تكاد تصل إلي فكر السوفسطائيين ، والفلاسفة اليونانيين ، وخاصة "ديموقريطس"، فالسوفسطائيين رفضوا البحث الميتافيزيقي ، وأقاموا كل دراستهم علي التجربة.

وقد أدرك "ديموقرطيس" أن كل التغيرات التي تحدث في الطبيعة ترجع إلي الالتحام ، والانفصال المستمر للذرات وذلك بناء علي حركة الحب ، والكراهية ، ولذلك فإن الوضعية التي تري أن المناهج التي أثبتت نجاحها في العلوم الطبيعية هي المناهج التي تناسب دراسة الظواهر الاجتماعية ، وقد ظهرت لأول مرة بطريقة منتظمة في علم الاجتماع عند "أوجيست كونت"

فعلم الاجتماع كان – في حقيقة الأمر – عند "كونت" : العلم الذي استبدل به البحث في الفسلفة الميتافيزيقية ، وقد حاول أن يبين أن المعرفة العامة بالعلوم الطبيعية ضرورية ، كأساس للعلوم البيولوجية ، ومن ثم المعرفة السوسيولوجية – علم الاجتماع – وقد شاركه كل من "هربرت سبنسر" و "ويستر وورد" هذا الاتجاه الوضعي[١].

---

(١) المصدر السابق ص (٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥) .

٣- **الوضعية الجديدة:**

ظهرت الوضعية الجديدة عبر تناقص الاهتمام بالأفكار المتعلقة بالتطور ، ويسمي "يتماشيف" هذا الاتجاه في علم الاجتماع المعاصر بـ "الوضعية المحدثة".

وتقوم هذه الوضعية علي عناصر ثلاثة ، هي :

أ- **الكمية:** وتقوم علي اعتبار العدد القياسي ، واستخدام الأساليب الإحصائية ، والنماذج الرياضية.

ويعتبر "كيليه" البلجيكي من الأوائل الذين دعموا هذا الاتجاه ، كما إن كتاب (قواعد العلم) الذي كتبه "كارل بيرسون" سنة (١٨٩١م) يعتبر رمز الكمية.

ب- **السلوكية** : ظهرت أيضاً في كتاب "بيرسون" السابق ، ولكنها تجددت في كتابات عالم النفس الأمريكي "جون واطسون" الذي دعم آراء عالم الفسيولوجيا الروسي "إيفان بافلوف".

وتتلخص دعوي "واطسون" إلي السلوكية ، في : أن الشعور لا يمكن معرفته موضوعياً، وأن الاستبطان لا يمكن أن يكون مصدراً للمعرفة ، ولذلك فإن علم النفس – ومن ثم علم الاجتماع – يجب أن يدرس السلوك الممكن ملاحظته ، دون غيره.

المعرفة الوضعية: وتوجد جذورها في الكتابات البراجمانية لـ "وليم جيمس" وكذلك : كتابات "جون ديوي" ، و "برتراند راسل" .

ولكن "كارل بيرسون" هو الذي وضعها بالطريقة التي أُرت في علم الاجتماع ، ذلك أنه يري أن المعرفة يجب بأن تكون نتيجة للانطباعات الحسية ، وما يترتب عليها ، ويقول : عن حقيقية الشئ تتوقف علي إمكان حدوثه كلياً ، أو جزئياً علي هيئة مجموعة من الانطباعات الحسية ، وإذا استطعنا أن نقيم "نظاماً علي أساس هذه الانطباعات ، أمكننا أن نسن قانوناً ، ولذلك فالقانون لا يشكل أو يوجد ضرورة في الواقع ، لن الضرورة تصور إنساني ، تدخل بطريقة غير منطقية في عالم المدركات[١] .

أما أبرز علماء الوضعية المحدثة ، فمن أهمهم : "جورج لندنبرج" وتظهر وضعيته من خلال كتابه (أسس علم الاجتماع) ، وكتاب (هل يستطيع العلم إنقاذنا؟) وكذلك: "ستورات دود" الذي ا شتهر بمؤلفه (الأبعاد القياسية للمجتمع) وهو زميل "لندنبرج" وأيضاً : "وايان أران" الذي يعتبر من أشهر علماء بالاجتماع المعاصرين[٢] .

٤- نقد النظرية الوضعية:

قوبلت النظرية الوضعية – سواء القديمة منها ، أم المحدثة – بانتقادات لاذعة.

---

(١) علم الاجتماع ص (٦٦-٦٧).

(٢) علم الاجتماع ص (٦٧-٧١).

ومن هذه الانتقادات:

أ- أنه غاب عن أصحاب النظرية الوضعية أن الجماعة ليست كالمجموعة الشمسية ، وأن الناس ليسوا كالمواد الأرضية ، والأجرام السماوية ، من حيث تكوينها ، وحركاتها ، والتغيرات التي تطرأ عليها ، حتي تخضعها لقوانين النظرية الوضعية.

ب- أنه غاب عن أصحاب النظرية الوعي أن الإنسان ليس وده متكررة ، وليس كقطعة من الحديد لا عقل له ، ولا إرادة ، محرم بقوانين ونظريات وحدة ، لا تتبدل ، ولا تتغير ، ولا يختلف ظاهره عن باطنه ، نسبياً أنه كائن حي ، له إرادة ، وخواطر ، ظواهر ، وباطن ، ورغبات متجددة دائمة التغير ، والتأثر بالعلاقات مع الآخرين.

ج- أنه غاب عن أصحاب النظرية الوضعية : أن هناك فرقاً بين ظواهر يمكن تفسيرها من خارجها ، وبشر لا يمكن فهم قضاياهم إلا من داخله ، وأن هناك فرقاً بين ظواهر تربطها علاقات علمية آلية ، وبشر يخضعون لقيم ، ويرتبطون بأهداف.

د- أنه عاب عن أصاب النظرية الوضعية : أن هناك فرقاً بين ظواهر يمكننا التحكم فيها من الألف إلي الياء ، ونضعها تحت تصرفنا في أي وقت نريد ، وفي أي مكان نريد ، ووفق أي

هدف نسعي إليه ، نعدل فيها ، ونبدل كما تري ، وبين بشر لا يستطيع التعامل معهم كما شامل مع قطرات الماء.

الاتجاه الثالث :

١- **تعريف النظرية:** عرفها علماء الاجتماع بأنها : (نظرية سوسيولوجية موحدة ، يمكن استخدامها كأداة في التحليل لقضايا المجتمع).

والنظرية بهذا التعريف لم يعتبرها بعض علماء الاجتماع ضمن نظرياته ، وعللوا ذلك : بأن كل النظريات السوسيولوجية ، علي اختلاف أصولها واتجاهاتها ، يمكن اعتبارها ذات طابع تحليلي ، ومن أجل هذا لا نستطيع أن نجعل هذا الاتجاه مدرسة في علم الاجتماع ، مثل الاتجاهين : الوضعي والوظيفي.

وفي المقابل ، يري أنصار نظرية الاتجاه التحليلي : أن النظر في هذه المسألة بهذا المعني التبسيطي ، تعني إخلالاً ، بل تزييفاً بهذا الاتجاه الذي يثبت مضمونه وتوجهاته أن ليس مجرد نظرية في البحث السوسيولوجي ، فالباحث لا يبدأ مسلكه البحث خالي الوفاض ، لأنه له توجهاته ، وأفكاره التي وإن أراد مواريتها ، إلا أنها متأثرة بتنشئته العلمية ، وانتماءاته الطبقية ، زد علي هذا : أن التحليلية في نشأتها ، ومسيرة ارتباطها بالمشروع الرأسمالي ، وعلاقات باحثيها بأصحاب الأعمال ، تكاد تفصح عن نفسها ،

بوصفها أيديولوجية ، أو علي الأقل ساعية إلي خدمة أيديولويجة بعينها[١] .

٢- **الجذور التاريخية:**

يبدو من تحليل الإطار الفكري لهذا الاتجاه: أنه تأثر إلي حد واضح بالدافعية ، وبالوضعية الجديدة ، والبراجماتية ، والفلسفية الذرائعية – كما يسميها البعض – ، فقد أخذت من الدافعية إثارة الوعي ، والحافز الفكري للفرد والجماعة ، علي وجوده الواقعي ، وبهذا قربت علم الاجتماع من علم النفس الاجتماعي ، نتيجة للتركيز علي الدوافع من جانب، والاهتمام بالأجزاء ، أو العناصر المحددة كجماعات ، أو أفراد ، من جانب آخر ، وأخذت من الوضعية الجديدة مسألة التركيز ، والتحديد بالوقائع ، بوصفها أجمل من النظريات ، كما ذهب إلي ذلك "كلود برنار" في كتابه (الطب التجريبي).

ومع أن مسألة الارتباط بالوقائع أساس في أي علم ، إلا أن التوجيه الأمبريقي بنحوها يبدو توجهاً مكتسباً برداء (المثالية الذاتية) التي تفرغ هذه الوقائع من كل محتوي ، لأن التعامل مع الوقائع في التحليل الأخير يقوم علي الفصل الصارم المصطنع بين العام ، وبين الفرعي الخاص ، دون وضع أي نوع من العلاقة بينهما في الاعتبار.

---

(١) علم الاجتماع ص (٩٠-٩١) الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع ص (١٩٠-١٩١).

وربما دل ذلك علي (ذاتية) هذا التوجه ، ومثالية أيضاً ، وإصراره علي أن كل ما لا يخضع للاختبار التجريبي ، وكل ما لاتحس به الذات الباحثة ، يعتبر باطلاً ، ومن أمثلة هذا : مفهومات الطبقة ، والأمة ، والديموقراطية ، والحرب..... إلخ.

وأخذت – أخيراً – من البراجماتية (نفعيتها) ، وعملياتها ، وهذه مسألة توضح ارتباط هذا الاتجاه بقيم ومصالح المشروع الرأسمالي ، الذي يسعي إلي الفائدة الشريعة المباشرة[١].

٣- القضايا الأساسية للاتجاه الأمبريقي (التحليلي):

يعد عالم الاجتماع "رايت ميلز" أفضل من عرض هذه القضايا عرضاً نقدياً تحليلاً ، في عمله الذائع الصيت (الخيال السوسيولوجي).

١- يذهب أنصار هذا الاتجاه إلي أن علم الاجتماع يمكن له أن ينمو ويتطور ، إذا ما ركز الباحثون فيه علي أجزاء من الواقع ، بقصد جمع عدد من الوقائع ، دون الخوض في تفصيلات نظرية تعطل الباحث عن رصد الواقع الاجتماعي.

٢- يري الأمبريقيون أن تبني فلسفات علوم الطبيعة ، وإعادة صوغها بما يتلائم مع دراسة الوقائع الاجتماعية ، يمكن أن يزود علم الاجتماع ببرنامج عمل ، ومحاولة محاكاة العلوم الطبيعية ، وهي هنا لا تأتي من الانبهار بتطبيقاتها فحسب

---

(١) اتجاهات نظرية علم الاجتماع ص(١٩١-١٩٢).

، وإنما أيضاً من موقف علمائها القاطع من فلسفة البحث التي عبر عنها "بريدجمان" حين أشار إلي أنه لا توجد طريقة علمية بذاتها ، لأن العالم لا يخضع إلا لمبدأ واحد ، هو : الاستعمال الأمثل لموارد عقله ، بدون تحفظ.

٣- أن الأبريقيين يعترفون بالمعلومات من مقابلة منمطة ، و منمقة أجريت مع عدد من الأفراد اختيروا من خلال عينة ما ، تصف الأجوبة ، ولمزيد من التنسيق والترتيب تحول إلي بطاقات ، لسهولة هذه الطريقة التي يمكن اكتسابها بذكاء متوسط : تترجم النتائج ترجمة إحصائية – يعبر عنها أحياناً بنسب مئوية ، وعلي المستوي الأكثر تعقيداً تستخدم اختبارات تحصيلية.

ويضيف "ميلز" في الفصل الذي وسمه بـ (الأمبريقية التجزيئية) في كتابه (الخيال السوسيولوجي) : أن المسعي الذي يراه الأمبريقيون مهم لعلم الاجتماع ،يتجسد في قولٍ واحد من أكثر أنصار هذه المدرسة ، وهو : "بول لازر سفيلد" يري فيه : أن علي علم الاجتماع أن يقوم بدور كاشف الطريق أمام أفواج باحثي العلوم الاجتماعية ، حيث يقوم بدور الوسيط بين فيلسوف المجتمع المراقب المنفرد ، وبين الباحثين الأمبريقيين.

إن هذا الدور يتطلب:

اولا: تحولاً في الوجهة ، إذ لا يدرس تاريخ الفكر والمؤسسات بعد الان ، ولكن أنماط السلوك الملموسة ، و المحسوسة.

ثانياً: دراسة مشكلات المجتمع ، وحادثاته التي تتكرر ، فلكي نفهم الحملات الانتخابية الأمريكية – مثلاً – : يجب إعداد الناس التي تقوم بالفعل الانتخابي ، وتكرارها هذا الفعل ، وانتظامه.

ثالثا: علي الباحث الأمبريقي أن يركز جل اهتمامه بالحادثات المعاصرة (مثل : حادثتي نيويورك ، وواشنطن) حتي يتسني له جمع البيانات المطلوبة بالتفصيل والدقة المرغوبين ، هنا ، علي الباحث السوسيولوجي أن يكون صانعاً لأدوات ، وحراً فيها ، وأن يؤكد ويركز علي أن يسأل الناس مباشرة ، وأكثر من مرة : عما فعلوه ، ورأوه ، وسمعوه ، ورغبوا فيه ، ويجب ملاحظة : أن المبحوثين – أحياناً – لا يتذكرون ، وأحياناً يتهربون من الإجابة.

خلاصة ملامح هذه الاتجاه:

١- أنه يرفض أهمية النظرية للبحث عن الأفكار يجب أن تأتي من الخبرة ومن الدراسات السابقة ، وبعد هذا ، يمكن أن تشكل النظريات في ضوء معطيات الخبرة.

٢- وأنه يجعل مهمة البحث السوسيولوجي آنية معلقة ، ومشروطة بالوقائع المعاصرة ، بدعوي : أمنه يمكن الإحاطة بها منهجياً ، وتفصيلياً ، علي نحو أوفي ،

واهتمامه بالأساليب الإحصائية ، التي هي في شكلها ودلالاتها القول الفصل.

٣- وأخيراً : يجب التخصص في فروع سوسيولوجية ، حتي ينمو الباحث ، وينمو معه تخصصه ، وأن يتحول علم الاجتماع إلي علوم فرعية: علم اجتماع التنظيم ، علم اجتماع المصنع ، علم اجتماع اللعب ، علم اجتماع المطعم ، علم اجتماع المضجع ..... وبلغة هذا الاتجاه : يتحول علم الاجتماع هنا إلي أساليب مشينة ، مضاف إليها موضوعات جزئية ، معزولة بنائياً ، وتاريخياً ، مع قدر لا بأس به من الرطانة في الكلام[1].

٤- نقد النظرية:

هوجمت النظرية الأمبريقية من زوايا كثيرة ، نذكر منها:

أ- خلوها من أي قضايا قوية التوجه. فافتقدت بذلك الرؤية الواضحة ، والفهم الجيد لطبيعة الإنسان ، والمجتمع ، ولا تقدم عنهما أي حقائق ، بل فشلت – بصفة عامة في إقامة علاقة قوية بين المعرفة ، وبين العمليات الاجتماعية ، وفصلت فصلاً شديداً بين الواقع ، وبين القيم.

ب- ارتكاز الأمبريقية علي التجزئة ، فهي تدرس ظواهر معينة ، منفصلة ومتروعة من سياق المجتمع.

---

(١) المصدر السابق ص(١٩٢-١٩٤).

ج- محاولات إجراء دراسة أمبريقية عن الواقع الاجتماعي تشير إلي ان أصحابها لديهم تصورات معينة ، ومن ثم فإن هذه الافتراضات السابقة سوف تؤثر علي طابع الدراسة التي يجرونها علي الواقع ، وانه إذا كان الهدف الأسمي من علم الاجتماع هو : اكتشاف طبيعة العالم الاجتماعي ، فكيف يقوم ذلك علي افتراضات مسبقة عن هذا الواقع؟! إن علماء الاجتماع سينظمون أبحاثهم في ضوء الافتراضات السابقة وسوف يعتم طابع علم الاجتماع عليها ، وسوف يتغير إذا تغيرت.

د- ادعاء إمكان الاستفادة من نتائج الدراسة الأمبريقية في مشروعات رجال الأعمال ، وغيرهم ، وعن هذا يقول علماء الاجتماع: (إن علم الاجتماع عندما يقدم خدماته لرجال الأعمال ، فإنه لا يستطيع أن يستخلص لهم نتائج علي درجة عالية من التخصص ، أو النوعية ذات القدر من الثبات ، أو العمومية ، بل إنه يعجز عن تقديم نظرية مجردة يمكن تطبيقها علي نطاق المشروع).

وعلي الرغم من فشل ، وسقوط الأمبريقية في بلادها ومسقط رأسها ، فإن طلابنا وباحثينا لا يزال البعض منه غارقاً حتي نأذنية في هذه الأمبريقية ، ولا نجد باحثاً ، ولا رسالة ، إلا محشوة باستمارة استبانة ، وفروض بحث ومتغيرات مستقلة ، وأخري معتمدة.

وجماعة تجريبية ، وأخري ضابطة ، وجداول ، ورسوم بيانية، ونسب مئوية ، ومعاملات ارتباط ..... إلي آخر هذا المسلسل آخر هذا المسلسل[١].

سادسا: نقد عام لعلم الاجتماع:

بعد أن تعرضنا لأهم الاتجاهات النظرية لعلم الاجتماع ، ونقدها خاصاً بكل اتجاه ، فإنه يحسن بنا نقد علم الاجتماع الذي يحوي هذه الاتجاهات النظرية المهمة ، باعتبار قضاياه الرئيسية محور التقاء هذه النظريات.

ومن أهم نقاط النقد الموجهة لعلم الاجتماع:

١- **علم الاجتماع مسمي خادع :**

٢- فلا يصح لإطلاق لقب (العلم) عليه ، إنما هو نزعة مزيفة ، علي حد قول المؤرخ الشهير "ديلثي" ، كما أن مادة علم الاجتماع – بحسب.

فهذه هي مراحل تطور علم الاجتماع ، ونحن لا شأن لنا به ، ومحاولة تصويره لنا علي أنه إنتاج إنساني عام ، أو ثمرة للتقدم المادي الذي لا ينتسب لحضارة دون أخري ، أو ثقافة بعينها ، هو تصوير خاطئ ، يكذبه الواقع أشد تكذيب.

---

(١) اعترافات علماء الاجتماع ، د. أحمد خضر ص (١٣٩-١٤٠).

ويكفي أن تعلم أن مصادر علم الاجتماع التي حددها علماء الاجتماع الغربيون ، ثلاثة مصادر :

* أولها: المنهل اليوناني.
* وثانيها: المنهل اليهودي – النصراني .
* وثالثهما : البيئة الأوروبية ذاتها[١].

٤– الفشل الذي وقع فيه علم الاجتماع.

وشمل هذا الفشل جميع مدارسه واتجاهاته النظرية ، وقد تعددت صور هذا الفشل الذريع في عدد من القضايا.

فمنها – **علي سبيل المثال:**–

أ– فشل النظريات الاجتماعية في تحديد طبيعة علم الاجتماع ، ومناهجه وأهدافه القصوي.

إن تتبع تاريخ هذا العلم يبين أن علماؤه قد أخفقوا في الوصول إلي اتفاق حول قضاياه. ولا تزال هناك تناقضات فكرية ، وتصورات متباينة فيما بين علماء الاجتماع ، لم اؤد بهم إلي إجماع حول تفسير الواقع الاجتماعي ، والإطار الثقافي لأي مجتمع من المجتمعات.

قول "إيوبانك" – لازالت مرتبطة بأسماء أشخاص معينين ، هم الذين اخترعوا نظرياته ، ومدارسه الفكرية المختلفة ، وليس لدينا هذا الكيان الكبير من الحقائق المقبولة بصفة عامة التي يمكن النظر إليها علي أنها أحكام نهائية ، نحن نرجع إلي رجال معينين ،

---

(١) المصدر السابق ص(١٦-٢٠-٢١).

وليس علي علم محدد ، هؤلاء الرجال هم الذين يتحدثون باسم علم الاجتماع ، أو علماء الاجتماع – ككل.

إن علم الاجتماع – كما يقول "كوليمان" : (ليس بعلم دولي ، وليس بعلم ، لا بالمعني القديم ، ولا الدقيق للكلمة)[١] .

٢- علم الاجتماع يبني نظرياته علي الإلحاد.

وهذا هو ما اعترف به علماء في الغرب ، بأن علم الاجتماع منذ تأسيسه قائم علي الإلحاد.

يقول طبنتون جنسون" : (إن النظريات العامة لعلم الاجتماع ن وإن كانت تقر ضمنياً بالدين ، أو ببعض مظاهره علي الأقل ، فإنها تقر ضمنياً بالإلحاد أيضاً ، ولهذا ، لا نعجب إذا وجدنا هذه النظريات تلزم العلماء بالقول : إن كثيراً من الأمور الدينية طيبة ، علي الرغم من أفكاره في الأساس ليست حقيقية)[٢].

ولذلك ، كثيراً ما يدعي علماء الاجتماع أن الدين يقوم علي افتراضات إلحادية ، أو أنه اختراع إنساني ، أو رواية خيالية ، أو فن ..... إلخ.

وهذه الأفكار هي التي يدعو إليها علماء الاجتماع ، عند تصورهم للدين ، وبخاصة "بيتر بيرجر" و "روبرت بيلا" واللذين يعتمد عليهما رجال الاجتماع المحدثون في البلاد الإسلامية ، عندما

---

(١) المصدر السابق ٢ (١٢٧).
(٢) المصدر السابق ص (١٧٩).

يكتبون عن الدين ومفهومه ، فلا تكاد تجد مقالة لرجال الاجتماع في بلادنا ، إلا وأفكار هذين العالمين تسيطر عليهما[١].

٣- علم الاجتماع نشأ في بيئة غريبة عن المجتمع المسلم.

إن مدارس علم الاجتماع في نشأتها ، إنما كانت عبارة عن مجرد أفكار فلسفية ، وقيم أخلاقية ، تخص مجتمعات ، وثقافات معينة ، تختلف عنا عقائدياً ، وأخلاقياً اختلافاً كبيراً.

وهذه الحقيقية يمكن معرفتها إذا علمنا أن هناك أربع مراحل كبري للتطور العالمي ، الذي طرأ علي علم الاجتماع ، ولا شأن لنا ، ولا دخل بها:

المرحلة الأولي: بدأت منذ حوالي الربع الأول من القرن التاسع عشر في فرنسا ، وأهم من أسهموا فيها : " سان سيمون" ، و"كونت".

المرحلة الثانية : هي الماركسية ، التي تبلورت حوالي منتصف القرن التاسع عشر ... للارتقاء بتراث المثالية الألمانية ، وإدماجه بنماذج أخري من التراث ، كالاشتراكية الفرنسية ، وعلم الاقتصاد.

المرحلة الثالثة: تمثل علم الاجتماع الكلاسيكي ، الذي تطور قبل الحرب العالمية الأولي ، وهر مرحلة توفيق واندماج بين ا لوضعية ، وبين الماركسية.

المرحلة الرابعة: مرحلة الاتجاه الوظيفي البنائي ، الذي تبلور في الثلاثينيات من القرن الماضي في الولايات المتحدة ، عن طريق

---

(١)المصدر السابق ص (١٨٨).

جماعة من الدارسين ، أمثال "بارسونز" و "كنجزلي دافيز" وغيرهما.

ومن الأمثلة على ذلك : إذا كان الطالب يبحث في ميدان الجريمة، واجهته نظرية تقول له : إن الجريمة مرتبطة بالبناء الطبقي للمجتمع ، وأخري تقول : إنها نتاج عوامل سيكولوجية ، واليوم يربطونه بتقليعة جديدة ، هي : علم الضحايا.

ب- فشل علم الاجتماع ومدارسه في تبسيط مسائله ، تقريبها للناس.

وذلك لما اكتشف علم الاجتماع من الغموض ، والتعقيد ، وكثرة مصطلحاته الغامضة ، ولذلك يقول بعض منتقدي علم الاجتماع : (لأن علماء الاجتماع لا يعقلون أكثر من التعبير عن كل ما هو واضح بطريقة معقدة ، غامضة).

كما أن الانتقادات الموجهة إلي علم الاجتماع تؤكد أن المعرفة التي يقدمها ليست اكتشافاً جديداً وإنما هي تأكيد ، أو إعادة صياغة لما هو قائم في حياة الناس ، وحديثهم ، ولغتهم ، وخبرتهم ، وعملهم.

ج- فشل علم الاجتماع عند دراسته للظواهر الاجتماعية.

في استخدامه مناهج وطرق العلوم الطبيعية القائمة علي : الملاحظة ، التتبع والتجربة ، وتبين انه لا يمكن نجاح مناهج العلوم الطبيعية عند استخدامها لدراسة الإنسان ، والمجتمع.

لذلك ، انتقد كثير من علماء الغرب ومفكروه استخدام علم الاجتماع لمناهج العلوم الطبيعية.

قال "إلوود" (إن مناهج العلوم الطبيعية – بما في ذلك : الإحصاء – لا تمكننا من فهم الظواهر الاجتماعية).

وقال "وليم توماس": (إن السلوك الإنساني يتصف بالتعقيد والتنوع ، بحيث تصبح مقارنته بالظواهر الطبيعية نوعاً من العبث).

وقد ظهرت بعض النتائج السلبية للاستخدامات الخاطئة من قبل علماء الاجتماع ، عندما حاولوا استخدام مناهج العلوم الطبيعية علي الإنسان ، فباسم التجربي ، والمنهج العلمي ، راح العلماء الاجتماعيون يعبثون بالقيم ، وقاموا في الغرب بتجارب جزئية ، ق اسوا فيها الاستجابات أثناء العملية الجنسية ، علي أشخاص متطوعين من كلا الجنسين ، يقومون – من تلقاء أنفسهم. – بممارسة العمليلة الجنسية تحت عيون الملاحظين ، وعدسات التصوير ، واعتبروا ذلك فتحاً جديداً في الدراسات التجريبية بين البشر. ولما ثار المحافظون علي هذا العبث أجري العلماء الاجتماعيون تجاربهم سراً[1] .

([1]) اعترافات علماء الاجتماع ، د. أحمد خضر ص (١١٤-١١٩-١٣١-١٣٨).